جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

ترقية الذات الإنسانية على وفق المعاني القرآنية في تفسير [من نور القرآن] للشيخ محمد اليعقوبي

(دراسة أكاديمية معاصرة)

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

من قبل الطالب

حسن فليح حسن صالح

بإشراف :

أ.د. عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩
وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾

سورة الشمس : ٩ ـ ١٠

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (ترقية الذات الإنسانية على وفق المعاني القرآنية في تفسير (من نور القرآن) / للشيخ محمد اليعقوبي (دراسة أكاديمية معاصرة)) التي قدَّمها الطالب (حسن فليح حسن) قد جرى بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية– جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية تخصص (تفسير) .

التوقيع

اسم المشرف : أ. د. عمر عبد الله نجم الدين

التاريخ : / / ٢٠٢١

- توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية :

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

أ.د. رعد طالب كريم

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

التاريخ : / / ٢٠٢١ م

التوقيع :

أ.م.د. فاضل أحمد حسين

المعاون العلمي

التاريخ : / / ٢٠٢١م

إقرار المقوم اللغوي

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (ترقية الذات الإنسانية على وفق المعاني القرآنية في تفسير (من نور القرآن) / للشيخ محمد اليعقوبي (دراسة أكاديمية معاصرة)) التي قدَّمها الطالب (حسن فليح حسن) الى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . قد جرى تقويمها لغويًا من قبلي.

التوقيع :

اسم الخبير : د. حيدر أحمد حسين

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

إقرار المقوم العلميّ

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (ترقية الذات الإنسانية على وفق المعاني القرآنية في تفسير (من نور القرآن) / للشيخ محمد اليعقوبي (دراسة أكاديمية معاصرة)) التي قدَّمها الطالب (حسن فليح حسن) الى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . قد جرى تقويمها علميا من قبلي.

التوقيع :

اسم الخبير : د. حقي حمدي خلف

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

التوقيع

اسم الخبير : د. عمار محمد صالح

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (ترقية الذات الإنسانية على وفق المعاني القرآنية في تفسير (من نور القرآن) / للشيخ محمد اليعقوبي (دراسة أكاديمية معاصرة)) التي قدَّمها الطالب (حسن فليح حسن) الى مجلس كلية العلوم الاسلامية - جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفي ما له علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية تخصص (تفسير) بتقدير ( ) .

الاسم : أ.د. علي عبد كنو
التاريخ : / / ٢٠٢١م
رئيسًا

الاسم : أ.م.د. فاضل أحمد حسين
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضواً

الاسم : أ.م.د. أحمد خضير عمير
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضوًا

الاسم : أ.د. عمر عبد الله نجم الدين
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضوًا ومشرفًا

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية–جامعة ديالى .
بتاريخ / /٢٠٢١م.

الأستاذ الدكتور
عمر عبد الله نجم الدين
عميد كلية العلوم الإسلامية
/ /٢٠٢١ م

الاهـــــداء

الى محرر الانسان من عبودية النفس والشيطان، وترقيته الى عبادة الرحيم الرحمن .. الى من علمنا كيف نرتقي في مدارج الرقيّ والكمال الإنساني .. المرجعية العليا للإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ .

الى من رسموا الدرب للأحرار بكلامهم وافعالهم وارتقوا بهم من سلطان النفس الى رحاب الله تعالى، الائمة (عليهم السلام) .. والاصحاب (رضوان الله عليهم) .. والعلماء (اعزهم الله) .. ولا سيما سماحة المرجع الديني اية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) صاحب تفسير (من نور القران) .

الى امي وابي وزوجتي وجميع الاهل والأصدقاء ..

اهدي لهم جميعا هذا الجهد المتواضع

حسن

شكر وعرفان

بعد أن منَّ الله تبارك وتعالى علي بإتمام هذه الرسالة فاني احمد الله تعالى حمدا كثيرا على ما يسر لي هذا العمل المبارك، وبتوفيق من الله تعالى وتسديده أنجزت هذه الرسالة فله الحمد والشكر والثناء لا انقطاع له ابدا ما بقيت وبقي الليل والنهار.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل الى كل الذين مدوا اليَّ يد العون في اخراج هذه الرسالة، واخص منهم فضيلة جناب **(الأستاذ الدكتور عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني)** عميد كلية العلوم الإسلامية الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يأل جهدا في تقديم النصح والإرشاد لي والذي كان صاحب المبادرة في اختيار عنوان الرسالة فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين، ثم اسدي الشكر والتقدير موصولا، وفائق الاحترام الى جناب **(الدكتور فاضل احمد حسين الجواري)** على ما ابداه من مساعدة ودعم معنوي، وكذلك الشكر موصولا الى كافة التدريسيين.

ولا يفوتني ان اشكر أعضاء لجنة المناقشة لما سيبدون من اراء قيمة خدمة للبحث والباحث، والى كل من اعانني على انجاز هذه الرسالة .

الباحث

المبحث الأول

الشروط الأساسية في ترقية ذات الانسان

المطلب الأول: الهدف من خلق الانسان

تعد مسألة الهدف من الحياة ، او من خلق الإنسان، إحدى أهم المسائل الأساسية المرتكزة في فكر الانسان، فلقد ارتسمت أمام الانسان صورة هذا السؤال: ما هو الغرض من هذه الحياة؟ ولأي شيء يعيش الانسان ويحيا من اجله؟ من هنا يتضح بان النتيجة ستكون، لابد للإنسان ان يعلم انه لم يخلق لأجل هذه الدنيا الدنية، وانما هو مخلوق شريف، مكرم من قبل الله تعالى، وقد شرفه بالعديد من المنازل والمقامات، فخلق الانسان في أحسن تقويم، وزينه بالعقل، وجعله خليفة في الأرض، ليكون مثالا لله تعالى في اسمائه وصفاته، سالكا طريق أنبيائه وأولياءه (عليهم السلام) ، فالغرض من وجود هذا الانسان في الدنيا، هو وصوله إلى أقصى مراتب الرقي والكمال، ولكن بمعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، ولذا عندما نقرأ القرآن الكريم، نجد ان الحقيقة التي تعرض لها القرآن الكريم، هي أن الإنسان لم يخلق سدىً، وبلا هدف له ولا غاية، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[3] ، وقال تعالى أيضاً في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٣) سورة العلق: الآية ٨.

كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾[١]. فإذا استطاع الإنسان أن يقف على الطريق الذي يوصله إلى الهدف الذي خلق من أجله فهو المهتدي، وإلاّ فيكون من الضالّين. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، يدعو الإنسان ربّه مرّات عديدة في صلواته اليومية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٢]. لأنّ أفضل الطرق وأحسنها وأقصرها للوصول إلى الهدف هو الصراط المستقيم، وإذا لم يوفّق الإنسان لسلوك هذا الطريق فهو ضال لا محالة، ولا تزيده سرعة المشي في غير الصراط المستقيم إلاّ بعداً عن الهدف. وإلى هذا أشار الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : ((الْعَامِلِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ الْمَشْيِ إِلَّاّ بُعْدًا)) [٣] . ويجب أن نلتفت أنّ الله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى شيء، فهو لا تنفعه طاعة أحد، كما لا تضرّه معصية أحد، وإنّما يصل منفعة الطاعة وفوائدها إلى نفس المخلوق. قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((إِنّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، وَآمَنَاً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنّهُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَلَا تَضُرّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ))[٤] . فالغرض من الخلق هو العبادة، ولكن نفعها لا يصل إلى الله تعالى ليكون محتاجاً، بل خلق الله الإنسان ليصل إلى الكمال والسعادة الدنيويّة والأُخرويّة، بواسطة معرفة الله تعالى وعبادته وإطاعته وامتثال أوامره ونواهيه، ولهذا أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى هذا الأمر بقوله: ((نحن

---

(١) سورة الانشقاق : الآية ٦.

(٢) سورة الفاتحة : الآية ٦.

(٣) المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، (ت: ٢٧٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ـ طهران ، ١٣٧٠هـ : ١٩٨/١.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، (ت:١١١٠هـ) ، تحقيق، السيد إبراهيم الميانجي، ومحمد الباقر البهبودي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ المصححة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م : ٣١٥/٦٤ .

لم نخلق في هذه الدنيا عبثا وبلا غرض، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1]. فلا بد أن نلتفت الى هذا الغرض الذي خلقنا من أجله، ليكون ماثلا أمامنا دوما، ولنكرس حياتنا من أجله))[2] . ومما ورد في دعاء الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) يوم عرفه في نفس الصدد: ((إِلَهِي عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْآثَارِ، وَتَنَقُّلَاتِ الأطْوَارِ، إِنّ مُرَادَكَ مِنّي، أَنْ تَتَعَرَّفُ اليَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ)) [3] .

أولاً : معرفة الله تبارك وتعالى :

السؤال الذي يطرح نفسه، ماهي المعرفة المقصودة هنا؟ وهل يتمكن الإنسان أن يحيط به علماً؟ كيف يمكن معرفة الله تعالى؟ جعل الله تعالى لنفسه بعض الصفات والأسماء، ليتعرّف العباد بها عليه، كما أنّه تعالى منح العقل البشري القدرة على معرفته تعالى بصورة إجمالية، وإضافة إلى ذلك، فإنّ فيما بيّنه الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) في هذا الأمر الكفاية لمعرفة الله . ومن خلال مراجعة سريعة لسيد العارفين والموحدين امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة، نرى أنّه (عليه السلام) يبين نوعين من المعرفة هما المعرفة المنفية والممكنة لله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٦ – ١٧.

(٢) من نور القران : سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ، دار الصادقين ، لبنان – بيروت ، ط٣ ، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م : ٣/٢٧٠.

(٣) صحيفة الحسين: الشيخ جواد قيومي : ص٢١٢.

١) المعرفة المنفية: ينفي استطاعة الإنسان معرفة كنه الباري تعالى، إذ يقول الإمام علي (عليه السلام): ((الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدَ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنُ))[١] . وقال (عليه السلام): ((لاَ تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلاَ تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ))[٢] .

٢) المعرفة الممكنة: ولكن الإنسان يتمكن من المعرفة الإجمالية التي يثاب بها ويعاقب، فقد قال (عليه السلام): في كلمة له فيها غاية الدقة والتأمل، ((لَمْ يُطْلِعْ العُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ)) [٣] . وكذلك جاء عن الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في خطبة، منها قوله: ((وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ. فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ))[٤] . فهذه النصوص تبين بشكل واضح وجلي، إنه في الوقت الذي لم يكن للعقول القدرة والإحاطة بحقيقة الصفات الإلهية، لم تكن محجوبة عن التعرف إلى هذه الصفات بالقدر الذي يجعلها ويمكنها من الإيمان به تعالى. اذن المعرفة المطلوبة في الترقي والتكامل الإنساني، هي المعرفة التي يتمكن الإنسان من الإيمان والتصديق واليقين والإخلاص لله تبارك وتعالى، والتسليم له

---

(١) نهج البلاغة: الشريف الرضي محمد بن الحسين ابن موسى (ت:٤٠٦هـ)، تحقيق : السيد هاشم الميلاني، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة ، العراق – كربلاء ، ط٢ ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م : ٤١ .

(٢) المصدر نفسه، رقم الخطبة ١٨٦ : ٣٢٢ .

(٣) المصدر نفسه، رقم الخطبة رقم ٤٩ : ١١٠.

(٤) نهج البلاغة: الشريف الرضي ، رقم الخطبة رقم ٩٠ : ١٥٨.

فقد وجّه الله تبارك وتعالى الأنظار الى آياته تعالى في الآفاق والأنفس، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1]. وقد أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى إن أساس التفاضل بين الناس إنّما هو على أساس المعرفة بالله تعالى : ((وبالإلتفات إلى هذه الحقائق تزداد المعرفة عند الإنسان، والمعرفة هي أساس التفاضل عند الله تبارك وتعالى))[2] . ثم يشير **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى دعاء ورد عن الامام الحسين(عليه السلام) في عرفة فيقول: ((ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه غنيٌّ بهذه المعارف الإلهية، ومنه قوله (عليه السلام) بما يرتبط بحديثنا: (إلهي عَلِمتُ بِاختِلافِ الآثارِ، وَتَنقُّلاتِ الأطوارِ، أنَّ مُرادَكَ مِنّي أن تَتَعَرَّفَ اِلَيَّ في كُلِّ شَيء، حَتّى لا اَجهَلَكَ في شَيء)[3] . يراد منه أن يتعرف الإنسان على صفات ربه الحسنى، حتى يتأدب بأدب العبودية))[4] . اذن إنّ من أهم الوسائل والعوامل التي تؤدّي إلى كمال الإنسان ورقيّه هي معرفة الله تعالى، من خلال الأسماء والصفات والمخلوقات والآثار الإلهية في الوجود والنفس على حد سواء ، وتحت تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[5] ، إذ يقول **الشيخ محمد اليعقوبي** : ((أي ما عرفوا الله حق معرفته، ولا أعطوه المنزلة التي يستحقها ويتميز بها عن غيره من المخلوقات، ولا أحسنوا فهم صفاته وأسمائه المباركة، ففي الآية عتاب وتوبيخ

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٣.

(٢) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ١٩٧/١.

(٣) مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي (ت: ١٣٥٩هـ)، تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي، دار التعارف للمطبوعات ، لبنان – بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م : ص٢٧٢ .

(٤) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ١٩٧/١.

(٥) سورة الانعام : الآية ٩١.

لهذا التقصير في إدراك حقوق الربوبية، ووظائف العبودية أمام الله تبارك وتعالى، وبنفس الوقت تستبطن الآية الدعوة لتحصيل هذه المعرفة)) [١] . وأيّ تقصير أو إهمال في مسألة السعي إلى معرفة الله تعالى، ستكون لها عواقب وخيمة على ترقية الذات وتكاملها، فبدلاً من سموّها وتكاملها بالمعرفة، سوف تنتكس، وتهبط إلى الأسفل، ويتبع الإنسان هواه وشهواته بغير هدى من الله تعالى، فيكون كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٢] . ويصبح الإنسان عديم الفائدة منه.

وفي هذا الصدد يقول **الشيخ محمد اليعقوبي** : ((هذا النقص والتقصير في معرفة الله تعالى، بسبب الجهل، أو التعصب، أو اتباع الهوى، أو التلقي من وسائل غير صحيحة، وبأدوات غير طاهرة، يأخذه الإنسان يوم القيامة ويجادل فيه)) [٣] . وقد جعل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) معرفة الله تعالى أول الدين : ((أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ، التَّصْدِيقَ بِهِ))[٤] . إنّ معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به، والتصديق برسله، وما أرسلوا به، وهي وسيلة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهي تورث السكينة والطمأنينة إلى الله تعالى، والرضا به رباً ومعبوداً، وتجلب محبة الله تعالى، والذلّ له، وتعظيمه، وخشيته، والانقياد بالطاعة والذلّ في الحاجة، وهي توجب طيب العيش، وسعادة الأبد، فإنّ من عرف الله تعالى في الرخاء، عرفه الله جل وعلا في الشدة، فثبّته عند البلاء، والشكر عند الرخاء، ولهج بذكر الله تعالى والضراعة إليه في سائر الأناء، فإنّها ينبوع المحبة، وأصل التقوى، وجماع السعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ١/ ٢٢٤.

(٢) سورة التين: الآية ٥.

(٣) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٢٢٩/١ .

(٤) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد : ٣٦٦/٢ .

ثانيًا : عبادة الله تعالى وطاعته :

لقد أولى الذكر الحكيم العبادة أهميةً بالغةً، وأعتبرها أساس الكمال الإنساني، وحثَّ عليها في أكثر من سورة وآية، وخصَّها بالله سبحانه، فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[1]. وقال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[3] . فنهى عن عبادة غيره من الآلهة المزعومة، وتكمن أهمية العبادة في كونها الطريق الموصل إلى الله سبحانه، فهي غاية خلق الإنسان، وتحقيق الكمال الانساني قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[4] . والعبادة والطاعة في الواقع هي تنقية الوجود الإنساني من الأخطاء والانحرافات ، وتمهيداً للفوز بقرب الله تعالى. فكلما ازداد الانسان معرفة بمعبوده الحقيقي ، كلما ازداد في عبادة ربه حتى يقترب من حقيقة هذه العبودية. وكلما ضعفت معرفته به تعالى، كلما فقدت العبادة حقيقتها وجوهرها، وقد أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى هذا الأمر بقوله: ((هكذا يجب أن نقيّم عباداتنا، وسائر أعمالنا على أساس حقائقها وأغراضها، وليس أشكالها وحركاتها البدنية التي لا تستحق شيئا يذكر إذا خلت من المضمون)) [5] . وإنّ الإنسان تتفاوت مراتب كمالاته وسموه بالقدر الذي إذا عبد الله تعالى، وأطاعه في جميع تفاصيل حياته، فسيكون أفضل من الملائكة.

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٢٣.

(٢) سورة البقرة : الآية ٨٣.

(٣) سورة مريم : الآية ٦٥.

(٤) سورة الحجر : الآية ٩٩.

(٥) من نور القران الكريم : الشيخ محمد اليعقوبي : ١٧٩/٤ – ١٨٠.

يقول **الشيخ محمد اليعقوبي** : ((وعنده القابلية لأن يكون أعلى درجة من الملائكة إذا أخلص العبودية لله تعالى)) [١] . ومن جهة أخرى إنّ عبادة الله تعالى سببٌ رئيسيٌ للعزة والكمال، ونيل التوفيق الإلهي، عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب الزكي (عليه السلام) أنّه قال : ((وَإِذَا أَرَدْتَ عِزّاً بِلَا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ، فَاخْرُجْ مِنْ ذُلّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَى عِزّ طَاعَةِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ)) [٢] . ومما جاء عن حكمة العبادة والطاعة لله تعالى هو ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في حديث طويل له قوله: ((فَانّ قَالَ أَيْ السَّائِلُ فَلِمَ تَعَبَّدَهُمْ؟ قِيلَ: لِئَلَّا يَكُونُوا نَاسِينَ لِذِكْرِهِ، وَلَا تَارِكِينَ لِأَدَبِهِ، وَلَا لَاهِينَ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، إِذَا كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَقِوَامُهُمْ، فَلَوْ تَرَكَهُمْ بِلَا تَعَبُّدٍ لَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)) [٣] . من خلال هذا النص يتضح من ذلك إنّ العبادة إنّما شرّعها الله تعالى لمصلحة الإنسان وكماله. إن العبادة المثمرة التي تعطي للإنسان كمالا وجمالا هي تلك التي تنبع من القلب والعقل والعاطفة، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّه قال: ((أَفْضَلِ النَّاسِ مَنْ عِشِقَ الْعِبَادَةِ، فَعَانَقَهَا وَأَحَبّهَا بِقَلْبِهِ، وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ، وَتَفَرَّغَ لَهَا، فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى يُسْرٍ أَمْ عَلَى عُسْرٍ))[٤] . ومن هنا نستطيع أن ندرك معنى وأهمية العبودية لله تعالى، ونفهم آثارها وانعكاساتها على النفس والمجتمع الإنساني كله. فالعبودية لله تعالى مبدأ التحرر، والانطلاق من كل قيد وعبودية للناس أو الشهوات والأنانيات، وبنفس الوقت تُشعر الإنسان باكتمال إنسانيته، لأنّ الإنسان بعبادته يرتفع نحو الكمال، ويتجه إلى الخير المطلق، ويتعالى ويسمو

---

(١) المصدر نفسه : ٤/٢٧٥.

(٢) ميزان الحكمة: محمد الريشهري ، مؤسسة دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، إيران – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ : ٣/١٩٥٨.

(٣) علل الشرائع: الشيخ الصدوق : ٢٥٠ .

(٤) الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ – ٩٤١م) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، إيران – طهران ، ط٥ ، ١٣٦٣هـ : ١/٨٣ .

على الشر والرذيلة . والعبادة الخالصة لله تعالى لها دور مؤثر على تنمية الشخصية الإنسانية والارتقاء بها إلى المستوى اللائق بها، وتقوم بتخليص الإنسان من كل المعوّقات التي تكون مانعا من رقيّه وتكامله، عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ((طَاعَةُ اللَّهِ مِفْتَاحٌ كُلِّ سَدَادٍ، وَصَلَاحُ كُلِّ فَسَاد)) [١] . وتعمل العبادة على تطهير ضمير ووجدان الإنسان، وتغيير محتواه الداخلي، وتخليص وتنقية الذات الإنسانية من كل تلك المعوّقات، وتقوم العبادة بتهذيب النفوس والترقي بها نحو محاسن الأخلاق ومكارمها. فالعبادة في الإسلام منهج متكامل المراحل والفصول، وطريق واضح المعالم. وغرضه تحقيق الكمال البشري وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٢]. والعبادة هي تنقية الوجود الإنساني من الشوائب والانحرافات، وتمهيداً للفوز بقرب الله، وتأسيساً لتحقيق رضوانه. ومن هنا ورد أن للعبادة آثار على الإنسان الراغب بالكمال والرقي، منها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في رواية: ((إِنّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِالشَّابّ الْعَابِدِ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: أُنْظُرُوا إِلَى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي))[٣]. ومنها أيضا ما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في رواية: ((فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَلَا أَكِلُكَ إِلَى طَلَبِكَ، وَعَلَيّ أَنْ أَسُدّ فَاقَتَكَ، وَأَمْلَأْ قَلْبَكَ خَوْفاً مِنّي، وَإِنْ لَا تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ قَلْبَكَ شُغْلاً بِالدُّنْيَا، ثُمَّ لَا أَسُدّ فَاقَتَكَ، وَأَكِلُكَ إِلَى طَلَبِ)) [٤] .

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: التحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، مصطفى الدرايتي وحسين الدرايتي ، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ: ١٨٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٩.

(٣) الجامع الصغير: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : تأليف الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٨٤٩ هـ)، دار الفكر للطباعة ، لبنان–بيروت : ٢٨٣/١.

(٤) الكافي : الشيخ الكليني : ٦٢/٤ .

المطلب الثاني: حرية الاختيار ميزة الانسان

يرى الباحث وضع هذا المطلب في بداية الرسالة له أهمية، وهي إنّنا دائما ما نجد العاصين والمجرمين، وأصحاب الشرّ في المجتمع، ما يلقون باللوم ـ بسبب ما وصلوا اليه ـ تارة على الواقع، وأخرى على الحظ، وربما وصل بهم الأمر بإلقاء التهمة واللوم على الله سبحانه وتعالى، فيقولون هو مكتوب علينا من قبل الله تعالى أن نصبح أشرار واخرين أخيار! فهم بذلك يسلبون من أنفسهم أهم ميزة إنسانية خلقها الله تعالى في الإنسان، وهي مسألة الاختيار والإرادة في التغيير نحو الأفضل، وقد أكد الدين الإسلامي إنّ عملية ترقية الذات ممكنة، وقد أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى هذا الأمر بقوله: ((وننبّه إلى شبهة يثيرها الغارقون في المعاصي، العاجزون عن التغلب على أهوائهم، فيصوّرون لأنفسهم إنّه مكتوب عليهم الشقاء ولا يمكن تغييره، وقد دعمت هذا الاتجاه الفكري جهات سياسية منذ عصر صدر الإسلام، لتمنع الأمة من الحركة نحو الإصلاح، وتغيير الواقع الفاسد وإزالة الظلم))[1] . فهنا في هذا النص إشارة واضحة، وهو منطق أهل المعاصي والذنوب الذين قد حلت في أعينهم لذائذ الحرام والمعاصي، وهم يروّجون إلى فكرة استحالة التغيير وإزالة الفساد حتى يحصلون على تأييد نفسي، ومبرّر بالاستمرار في إتّباع الأهواء والشهوات، **والشيخ محمد اليعقوبي** بعد أن أشار إلى هذه الظاهرة الخطيرة ردّها بقوله: (وينقل القرآن الكريم عنهم قولهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾[2]. لكن أمير المؤمنين

(١) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٢/٣٧٢ – ٣٧٣.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠٦.

علي بن أبي طالب (عليه السلام) فسر الآية بقوله : (بِأَعْمَالِهِمْ شَقُوا)[١] . فالإنسان باختياره عمل ما يوجب شقائه)) [٢] . فالإنسان إذن يكون باختياره إما شقي أو سعيد، إما صالح أو طالح، لهذا يكمل **الشيخ محمد اليعقوبي** قوله: ((وقد جرى القضاء الإلهي ـ أي مجموعة القوانين والسنن الإلهية ـ بأنّ من يعصي ويعرض عن الله تعالى، يشقى، قال ـ الامام علي(عليه السلام) ـ في دعاء كميل: (الهي وَمَوْلاي اَجْرَيْتَ عَلَي حُكْماً، اِتَّبَعْتُ فيهِ هَوى نَفْسي، وَلَمْ اَحْتَرِسْ فيهِ مِنْ تَزْيينِ عَدُوّي، فَغَرَّني بِما اَهْوى، وَاَسْعَدَهُ عَلى ذلِكَ الْقَضاءُ) [٣] . فالعبد باختياره إتّبع الشيطان ، وساعد على غوايته السنّة الإلهية بإيكاله إلى نفسه، وسلب التوفيق منه))[٤] . اذن الإنسان إنّما يصل إلى الرقي والتكامل أو السقوط والتناقص، بإرادته واختياره، نعم إنّ الحرية والإرادة محدودة نسبيا، بالشكل الذي تجعله أن يختار مستقبله وحياته سعيداً وشقياً، يقول الشيخ مرتضى مطهري (**رحمه الله**) : ((من الواضح إنّ للإنسان حدوداً كثيرة، وإنّ حرّيته حريّة نسبية – في عين حريته – من أجل بناء أعضائه النفسية، وتبديل المحيط الطبيعي، بالصورة التي يتطلبها، وبناء مستقبله كما يريد، أي إنّ الحرية تقع داخل إطار محدود، وفي داخل هذا الإطار المحدود، يتمكن من أن يختار لنفسه مستقبلاً سعيدا او مستقبلا شقيا أيضا)) [٥] . ولهذا نجد إنّ من أهم علامات الاختيار والحرية، التكاليف الشرعية التي

---

(١) تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت: ١١١٢هـ)، تحقيق : تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، ايران– قم ، ط٤ ، ١٤١٢هـ – ١٣٧٠ ش : ٥٦٦/٣.

(٢) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٣٧٣/٢.

(٣) مفاتيح الجنان : الشيخ عباس القمي : ٦٤.

(٤) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٣٧٣/٢.

(٥) الانسان في القران : الشهيد الشيخ مرتضى مطهري (ت: ١٩٧٩م) ، مطبعة مجمع اهل البيت (عليهم السلام) ، العراق – النجف الاشرف ، ط١ ، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م : ٢٦.

كلفه الله تعالى بها، وعمارة الأرض قال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾[1]. ولهذا جاء في هذ المجال أيضاً بأنّ ((الحرية والاختيار، شرط آخر من شروط التكليف، أي إنّ الإنسان عندما يكون مكلفا بإنجاز واجب، ينبغي أن لا يكون هناك أي إجبار أو إكراه . وإذا كان هناك اضطرار أو إكراه في الأمر، يسقط التكليف)) [2] . وقال مطهري في موضع اخر: ((إنّ الإنسان خلق مختارا حراً، بمعنى إنّه أعطي فكراً وإرادة. فليس الإنسان في أعماله كالحجر، تدحرجه فيتدحرج ويسقط متأثراً بجاذبية الأرض دون أن تكون له اية إرادة)) [3] . فالإنسان هو الذي يختار الطريق والسبيل في تحديد حياته ومستقبله، وليس مجبوراً عليه، حتى يتخلص من عقدة اللوم لنفسه، أو بإلقائه على الاخرين، ((ان الإنسان يجد نفسه دائما على مفترق طرق، ليختار منها أيها شاء بمليء حريته، ووفق مشيئته ونوعية تفكيره، وليس مجبوراً على سلوك أحدها لا غير، وإنما الذي يعين أحد الطرق هو أسلوب فكره واختياره))[4] . ومن هنا عندما نقرأ القران الكريم نجد ان هذه الميزة للإنسان قد وهبها له خالقه تبارك وتعالى، وشرّفه بها على بقية المخلوقات. ولهذا الأمر أشار الفخر الرازي **(رحمه الله)** في تفسير الآية في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[5]، فقد فسر الآية بقوله:

---

(١) سورة هود : الآية ٦١.

(٢) الروح والنور في القران الكريم: الشيخ مرتضى مطهري ، دار الارشاد للطباعة والنشر لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م : ٥٣.

(٣) رؤى جديدة في الفكر الإسلامي: الشيخ مرتضى مطهري ، مراجعة وتصحيح : عبد الكريم الزهيري ، ومحمد هاني الثامر، قلم مكنون ، ط١ ، ١٤٢٧هـ: ١/٤٠١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة الكهف: الآية ٢٩.

((صَرِيحٌ في أَنَّ الأَمْرَ في الإيمانِ والكُفْرِ والطّاعَةِ والمَعْصِيَةِ مُفَوَّضٌ إلى العَبْدِ واخْتِيارِهِ، فَمَن أنْكَرَ ذَلِكَ فَقَدْ خالَفَ صَرِيحَ القُرْآنِ)) [١] . فقد اتفق العلماء تبعا للقران والسنة على إنّ صفة الاختيار والإرادة موجودة لدى الإنسان.

لذا عبر الشيخ مصباح اليزدي **(رحمه الله)** عن هذا الموضوع بقوله : ((الإنسان موجود باحث عن الكمال، والكمال الإنساني إنما يتحقق في ظل الأفعال الاختيارية المنبثقة من حكم العقل)) [٢] . وجاء أيضاً في مكان اخر قوله: ((ومن هنا نعلم، بان إنسانية الفعل إنما تتحقق بالإرادة المنبثقة من الميول والرغبات التي يختص بها الإنسان، وعلى ضوء هداية العقل وتوجيهه)) [٣] . اذن يمكن للإنسان ـ إذا سعى ـ أن يكون له دور مؤثر في مستقبله نحو الأفضل والأحسن، لأنه يملك هذا الخصيصة بخلاف الموجودات الأخرى، والى هذا الامر يشير **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى إن الإنسان باستطاعته أن يتغير وان يتبدل، وهو غير مسلوب الإرادة والقدرة على التغيير، وهو بالسعي والعمل وشحذ الهمة، والحركة الدؤوبة في ذلك، ((وحينما ندعو الله تبارك وتعالى: (اللَّهُمَّ غَيّرْ سُوءُ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكِ) [٤]. فلا بد أن نلتفت الى هذه الحقيقة فإن

---

(١) مفاتيح الغيب التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ : ٤٥٨/٢١ .

(٢) دروس في العقيدة الإسلامية: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (ت: ١٤٤٣هـ – ٢٠٢١م) ، دار الرسول الاكرم ، لبنان – بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م : ٤٠/١.

(٣) المصدر نفسه : ٤١/١.

(٤) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري (ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، لبنان – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م : ٣٣٨/٧.

الألطاف الإلهية الخاصة لها أسباب، أُمر الناس بالسعي إلى تحصيلها)) [١] . ان الرؤية عند بعض الأيدولوجيات التي تزرع الميول الجبرية في فكر الناس، عادة ما تنشأ من أناس مهملين، وغير مسؤولين، ويشعرون بالأنانية والإعجاب بالنفس، متشبثين بالذرائع، حتى يعطوا لأنفسهم التبرير الكافي للاستمرار بالمعاصي والذنوب. إنّ الالتفات إلى هذه الحقيقة، يجرّد الإنسان من هذه القضايا المحبطة والذرائع الفارغة، التي يتذرع بها بعض الناس. ويحيي فيه الشعور بالأمل والسعي، والشعور بالمسؤولية ويجعله ويعده مجاهداً وناشطاً في السعي للتغيير، اذن مسألة اختيار الإنسان وإرادته وحريته من المسائل البديهية في منطق الدين الإسلامي ، والمبادئ الأخلاقية، فالقرآن الكريم يؤكد ويشهد على اهتمامه بالإنسان بوصفه موجوداً مختاراً، ويتعامل معه على هذا الأساس كموجود مسؤول. ومن هذا المنطلق أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** إلى هذه الحقيقة تحت ذيل تفسير الآية المباركة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[٢]. ((إنّ الآية تقرر أيضا مبدءاً إنسانياً مهما، وهو إحترام إرادة الإنسان وحريته في تقرير مصيره، وجعله محور التغيير، مهما كانت العوامل الخارجية مؤثّرة))[٣] . لهذ السبب لا يتصور قيام المبادئ الأخلاقية والمسؤولة عن السلوك دون التسليم بحرية واختيار الإنسان، فالإنسان حريته في اختيار أحد السبيلين يسلك، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٤] . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ بَلِ

(١) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٤/٢٣١.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

(٣) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٤/٢٣٠.

(٤) سورة الدهر: الآية ٣.

ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[1] ، وبهذا السياق أشار الدكتور احمد صبحي الى رواية يؤكد هذا المعنى ، ((... يذكر إنّ فريقا من الناس قد اشتكوا إلى عبد الله بن عمر وقالوا: يا أبا عبد الرحمن إنّ اقواما يزنون ويشربون الخمر ويسرقون ويقتلون النفس ويقولون: كان في علم الله فلم نجد بداً، فغضب ابن عمر قائلاً: سبحان الله العظيم قد كان في علمه إنّهم يفعلونها، ولم يحملهم علم الله على فعلها)) [2] . وجاء ما يؤيد هذه الفكرة في القران الكريم، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[3]. والنجدان هنا يعبران عن طريقي الحقّ والباطل، طريق يأخذ به نحو قمة الجبل، وطريق ينحدر به نحو الهاوية .

(١) سورة القيامة : الآيتان ٣ – ٤.

(٢) الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي : الدكتور احمد محمود صبحي ، دار المعارف ، ط٢ ، ٢٠٠٦م : ١٥٦.

(٣) سورة البلد : الآية ٨ – ١٠ .

المطلب الثالث: الإرادة وعلو الهمّة

إن من أهم الصفات التي لابد من أن يمتلكها الإنسان، هي الإرادة والعزيمة، والهمّة العالية لأنها تدفعه لنيل أعلى المطالب والمراتب، وتسمو به إلى أحسن المقامات، إنّ قيمة الإنسان إنّما هي في إرادته وهمته، فاذا تخلى عنها فهو ليس إنسان، لهذا جعل الإسلام قوة الإرادة، وقوة العزم والتصميم من أهم ما يجب أن يتصف به الإنسان، وان قيمة الإنسان تقاس بما يحمله من إرادة وعزم، لكي يترقّى في مدارج الكمال، فهو بواسطته يجتاز مراحل مهمة ومتقدمة في شتى مجالات الحياة. من هنا نجد إنّ الله تعالى خص الإنسان دون المخلوقات الأخرى كلها بالسيطرة والتحكم في هذه الإرادة، والقدرة على تنميتها وتوجيهها، ولهذا عُدت الإرادة من أسرار تكريم الله تعالى للإنسان، وسبباً رئيسياً ومهما لتكامله، وبهذا الصدد جاء عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) أنّه قال: ((ضادُّوا التَّوانيَ بَالْعَزْم)) [١] . فبالعزم وقوة الهمة يصل الإنسان إلى ما يتمناه. ان أصحاب الهمّة العالية هم أصحاب النفوس الكبيرة التي تتوق الى المعالي، والإرادة القوية هي وقود هذه الهمة العالية، قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((مَا رَفَعَ امْرَءاً كَهْمّتَهُ))[٢] . وقال (عليه السلام) : ((قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَعَمَلِهِ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ)) [٣] . فالهمّة كنز موجود في داخلنا، كل ما في الأمر هي أن نملك القدرة والإرادة لاستخراج هذا الكنز وتفعيله، وبمقدار ما نستخرج هذا الكنز يكون مستوى الرقي لدينا، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا

(١) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: سيد حسين شيخ إسلامي ، مطبعة فروردين، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، إيران – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، رقم الحديث ٥٩٢٧ : ٦٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص٦٥٧.

(٣) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم : ص٦٥٧ .

سَعَىٰ﴾[1]. قال الشيخ باقر شريف القرشي في كلمة: ((إن قوة الإرادة سر النجاح، والنجاح غاية الوجود فإن قوة إرادة نابليون وكرنت ، والإسكندر، وغيرهم من رجال التاريخ هي التي خلدت أسماءهم ، وإنا لنرى عددا كبيرا من رجال التاريخ لم ينتج انخذالهم على ما اشتهروا به من الشجاعة والحنكة والذكاء إلا عن ترددهم، وضعف إرادتهم، وإن من المحال أن ندخل معترك الحياة ونرجو الفوز فيها دون أن تكون لدينا إرادة قوية)) [2] . أما إذا كان صاحب همة عالية وعزم لا يلين، ونية خالصة الى الله تعالى في إصلاح نفسه وتكميلها، فان الله تبارك وتعالى سوف يعينه ويأخذ بيده، ولا يدعه وحده يكافح ويجاهد، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]. فعلى الإنسان أن لا يتسرب إلى نفسه أي وهن أو شك في أنه غير قادر على فعل هذا الامر، ـ أي إصلاح نفسه ـ المعبر عنه بشكل اخر بالثقة بالنفس، ولهذا نجد إنّ الفرد لا يمكن أن ينال المراتب العليا في الحياة إلاّ اذا كان مستعداً للتضحية في سبيل ذلك، لأن التضحية شرط أساسي ومهم في تحقيق المراد والإنجازات الكبرى في الحياة، ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قوله: ((مَا رَفَعَ امْرَءاً كَهْمَتِهِ، وَلَا وَضَعُهُ كَشَهْوَتِهِ)) [4] . إنما أراد الإمام علي (عليه السلام) أن يعلمنا علو الهمة لأنها وسيلة مهمة للرفعة والوصول الى الكمال. وفي نفس السياق جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن نسأل الله تعالى علو المرتبة، لأن من طلب العلو سيجتهد ليبلغ ذلك. ((فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى

(١) سورة النجم : الآية ٣٩.

(٢) النظام التربوي في الإسلام : الشيخ باقر شريف القرشي : ٢٧٣.

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٩.

(٤) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٣٤٦٨/٤.

الْجَنَّةِ و فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)) [١] . فالأمور الجسام يقيناً تحتاج إلى الكثير من التحديات، وهذه التحديات التي تواجه الإنسان في مسيرته التكاملية تحتاج إلى عزيمة قوية لتخطّيها، وعليه أن لا ييأس حتى في حالات الفشل والإخفاق، فيحتاج حينئذ إلى الثبات والإرادة ، قال **الشيخ محمد اليعقوبي** في هذا السياق وهو يشير الى أهمية هذه الإرادة والهمة. ((فعندما يكون الانسان، ذا همة عالية، وطموح كبير ... فإن الله يستخلصه لنفسه، وسيصلح شأنه، ويتولاه بنفسه)) [٢] . سوف يكون التوفيق والسداد حليفه. وكيف لا يكون كذلك وهو يريد الوصول الى رضا الله تعالى، والحصول على الزلفى لديه تبارك وتعالى. بلا شك ولا ريب فان الله تعالى سوف يعينه، ولا يتركه ابداً، ويحيطه برعايته وحفظة ملائكته، ويدفع عنه شياطين الانس والجن، الذين يضغطون عليه، ويوسوسون له، حتى يترك الصلاح والاستقامة ويبقى يعيش الانحراف الفكري والاخلاقي ويكون مصيره كمصيرهم، وهذا ما أشار اليه **الشيخ محمد اليعقوبي** بقوله: ((ان الله تعالى يقدر ضعف الإنسان وعجزه عن مواجهة شياطين الجن والإنس، فجعل له ملائكة يحفظونه ويدافعون عنه، وفي بعض الروايات انه لو كشف لكم الغطاء لرأيتم العدد الكبير من الشياطين الذين يحيطون بكم ويتربصون بكم، لكن الله تعالى جعل الملائكة الحافظة لدفعهم))[٣] ، فكلما كانت الظروف والتحديات أصعب واعقد، والتي تحيط بالإنسان الراغب بالكمال، كانت همته ومواجهته ازاءها أعلى وأشد وأوكد. وعلو الهمة سلاح ذو حدين إذ يمكن استغلالها في

---

(١) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠: ١٥٣/١ .

(٢) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ١/ ٢٦٩.

(٣) المصدر نفسه : ٢٣٩/٤.

الطاعة وعلو الدرجات، ويمكن استغلالها في المعصية وتسافل الدركات، ولذلك أهتمت النصوص الشريفة ببيان ما ينبغي للإنسان ان يطلبه بعلو الهمّة. عن رسول الله (ﷺ) قال: ((وَاصْرِفُوا هِمّتَكُمْ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ)) [١] . وقال ابن الجوزي في كلمة له: ((من علامة كمال العقل علو الهمة والراضي بالدنو دني)) [٢] . وقال النبي محمد (ﷺ) في حديث: ((إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها)) [٣] .

اولاً : ما ينبغي طلبه بعلو الهمّة :

إنّ الإنسان كلما زاد في إرادته وهمّته في طريق الوصول الى الأهداف العليا، ازدادت قوته وسعيه، بحيث إن قوة عزيمته وعلو همته تجبر ضعفه الجسدي. جاء عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((مَا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيّةُ))[٤] . إن أهم المجالات التي ينبغي صرف الهمّة نحوها وتكريس الجهد اتجاهها هي بالأمور النافعة له في الدنيا والاخرة، وقد جاء عن أهل البيت (عليهم السلام) موارد كثيرة ينبغي صرف الهمّة اتجاهها. جاء عن رسول الله (ﷺ) : ((وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ)) [٥] ، لان الدنيا مهما تكن فهي وقتية لا قيمة لها إزاء الاخرة الباقية قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ

(١) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٤/ ٣٤٦٩.

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال : القاضي حسين بن محمد المهدي، عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، راجعه : الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي ، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة ، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م : ٢/ ٣٢٦.

(٣) مجمع الزوائد: الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م : ٨/ ١٨٨.

(٤) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٤/ ٣٤١٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٤/ ٣٤٦٩.

كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، وكذلك ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): ((اجْعَلْ هَمّكَ لِآخِرَتِكَ، وَحُزْنَكَ عَلَى نَفْسِكَ، فَكَمْ مِنْ حَزِينٍ وَفَدَ بِهِ حُزْنُهُ عَلَى سُرُورِ الأَبْدِ، وَكَمْ مِنْ مَهْمُومٍ أَدْرَكَ أَمَلَهُ)) [٢] . ولأن الاخرة أفضل من الدنيا : ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣] . فشحذ الهمة لطلب ما عند الله تعالى أفضل، لان الله تعالى بيده كل شيء ، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((مَنْ لَمْ يَكُنْ هَمّهُ مَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَمْ يُدْرِكْ مُنَاهُ))[٤] . وورد في الدعاء: ((يَا مُحَوّلَ الْحَوْلِ وَالِاحْوَالِ، حَوّلَ حَالِنَا الَى احْسُنْ حَالِ)) [٥] . فالإنسان المسلم يطمح أن يكون في أفضل حال، ولا يرضى مرتبة الا أعلاها وأفضلها .

ثانيًا : آفة التوفيق الكسل وضعف الإرادة :

على الإنسان الساعي إلى الكمال أن يشحذ همته في السيطرة على نفسه ورغباته، وأن لا يكون هو سبباً في شقاء نفسه وتعاستها بالاستسلام لها ولشهواتها، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله : ((ثَلَاثٌ يَحْجِزْنَ الْمَرْءُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي: قِصْرُ الْهِمّةِ، وَقِلّةُ الْحِيلَةِ، وَضَعْفُ الرَّأْيِ))[٦] . اذن تعتبر الإرادة والهمّة من

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .

(٢) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ٣٤٦٩/٤.

(٣) سورة الضحى : الآية ٤.

(٤) هداية العلم الى تنظيم غرر الحكم: محمد الريشهري ، الحديث: ٨٩٧٠ : ص٦٥٧ .

(٥)شرح الأسماء الحسنى: الملا هادي السبزواري (ت: ١٣٠٠هـ) ، مكتبة بصيرتي ، قم ـ ايران ، (د.ط) ، (د.ت) : ٧٠/١.

(٦) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، تحقيق علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ : ص٣١٨.

أهم العوامل الأساسية في بناء شخصية الإنسان، وهي من أهم المقومات في نجاحه في حياته. فعلى الإنسان السعي الحثيث والحركة الدؤوبة والاجتهاد في إحراز التوفيق، والتوفيق لا يحصل بمجرد إجترار الدعوات من دون السعي للحصول عليه، لذا ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قوله : ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَلَمْ يَجْتَهِدْ، فَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ))[١] . وأيضا من يبذل جهده ويشحذ همته في الوصول الى المراتب العليا، سوف يصل إلى مراده ، وجاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((مَنْ يُدْمِنُ قَرْعَ الْبَابِ يُلْجَ)) [٢] . وفي نفس السياق ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله : ((مَنْ بَذْلِ جُهْدِ طَاقَتِهِ، بَلَغَ كُنْهُ ارَادَتَه)) [٣] . فبالإرادة والهمة العالية يصل الانسان ويحقق الكثير من أهدافه . طبعا هناك من يكتفون بالمواعظ والتذكير، فيتأثرون بها، ولكنها سرعان ما تندثر وتذهب خصوصا إذا لم تقترن بالإرادة والهمّة للتغيير للأحسن، قال **الشيخ محمد اليعقوبي** : ((وهكذا على صعيد الفرد، فانه مالم يمتلك الإرادة والعزيمة والمقدمات الصالحة، فان الف واعظ ومرشد ومصلح لا تنفعه في شيء))[٤] . والإنسان الذي لا يمتلك قوة الإرادة والهمة العالية ممقوت عند الله تعالى، ويبقى وضيعا هامشيا في الحياة.

---

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري : ٤٥٩/١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٢٢٩/٤.

المطلب الرابع: التقييم الذاتي (معرفة النفس)

إنّ معرفة النفس أول خطوة يخطوها الإنسان للترقية بذاته، فمن دون معرفته بها وطبيعتها، فلا يمكن أن يسمو بنفسه، يقول الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : ((لَا مَعْرِفَةَ، كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ))[1] . وإن الخطوة الثانية بعد إدراكه لحقيقة وجوده، هي فهم قابلية التغيير والترقية، وأنه موجود قابل للتكامل، وترفض الثبات والجمود. ولأن معرفة النفس تقع على رأس كل المعارف بعد معرفة المبدأ، ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((الْمَعْرِفَةُ بِالنَّفْسِ، أَفْضَلُ الْمَعْرِفَتَيْنِ)) [2] . وعنه (عليه السلام) : ((أَفْضَلُ الْمَعْرِفَةِ، مَعْرِفَةُ الإِنْسَانِ نَفْسِهِ))[3] . وهناك إشارة لطيفة تتحدث عن الإنسان وأهمية تحديد موقعه، ليؤدّي مسؤوليته، ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) انه قال : ((رَحِمَ اللَّهُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَيْنَ، وَفِي أَيْنَ، وَالَى أَيْنَ)) [4] . وعندما نتحدث عن معرفة النفس، نريد بها معرفة الخصائص والقوى التي أودعها الله تعالى فيها، وكذا عن سبل إصلاحها، لذا تتميز النفس التي كرم الله تعالى بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، إنّها جمعت بين العقل والغريزة، بخلاف الحيوان الذي وضع الله تعالى فيه الغريزة والشهوة، ومن هنا فلا بد للإنسان من استخدام عقله في تعديل وتقويم متطلبات الحياة التي تمليها الغريزة والشهوة، حتى يسلك بها الاعتدال وعدم الانحراف. ومن الواضح أن الإنسان إذا أخطأ في تقييمه لنفسه فسوف تكون خسارته عظيمة جداً، وقد لا يتمكن أبداً من تصحيح الخطأ وجبر الخسران، لأنه قد لا يتصور تارة أنه على

---

(١) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ١٨٧٦/٣.

(٢) المصدر نفسه : ١٨٧٦/٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨٧٦/٣ .

(٤) شرح رسالة الحقوق: الامام زين العابدين (عليه السلام) (ت: ٩٤هـ) ، تحقيق : حسن السيد علي القبانچي ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر ، إيران – قم ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ : ٨٨ .

خطأ وقد لا يقدر على ذلك لفوات الأوان، ولعله يضاعف الجهد للوصول إلى الهدف الصحيح ـ حسب حساباته الخاطئة ـ لكنه سيكتشف بعد فوات الأوان أنه قد أخطأ الطريق وخانته التقييمات والحسابات فهو من الخاسرين.

أولاً : مراتب النفس البشرية :

عندما نتحدث عن النفس فان القران الكريم تحدث عن ثلاث حالات من حالات النفس، وما يهمنا من هذا التقسيم، هو أي نفس تلك التي ينبغي (معرفتها) جيداً ومكافحة جماحها؟ وترقيتها وتنميتها؟ يقول **الشيخ محمد اليعقوبي** : ((ويشير القران الكريم إلى ثلاث مراتب من النفس الإنسانية: المطمئنة التي اكتملت فيها العبودية لله تعالى والطاعة والتسليم له تبارك وتعالى، عن رضا واطمئنان، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾[1]. وهذه الأولى)) [2] ، ويشير **الشيخ محمد اليعقوبي** الى المرتبة الثانية من مراتب النفس فيقول: ((الأمّارة بالسوء: التي دأبت على الاستسلام للشهوات واتباع الأهواء، فهي تأمر بالسوء وتدعو إلى الفحشاء والمنكر من دون أي رادع ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾[4] ، وقد تتمرد هذه النفس أكثر فتصبح داعية للفساد والانحراف والضلال، وساخرة من أهل الطاعة والإيمان ومستهزئة بالدين)) [5] . هذه النفس التي يصفها الإمام علي بن الحسين

(١) سورة الفجر: الآية ٢٧ – ٢٨.

(٢) من نور القران: الشيخ محمد اليعقوبي : ٢٥٥/٤ – ٢٥٦.

(٣) سورة يوسف : الآية ٥٣.

(٤) سورة يونس : الآية ٧.

(٥) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٢٥٥/٤ – ٢٥٦.

السجاد (عليه السلام) من خلال الشكوى منها، ويطلب من الله تعالى العون عليها: ((إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تسْلُكُ بِي مَسالِكَ الْمَهالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِك، ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الاَمَلِ، إنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ))[1] .

ثم يشير **الشيخ محمد اليعقوبي** الى المرتبة الثالثة من مراتب النفس فيقول: ((النفس اللوامة وهي عنوان البحث وهي بين المرتبتين، ويمكن أن نرتقي الى الأولى، أو نتسافل إلى الثانية، فهي نفس ليست بعيدة عن الصلاح، ومحبة للطاعة، الا أنّها تضعف أحيانا، فتقود صاحبها إلى الوقوع في المعاصي والذنوب، فتحصل عنده حالة اللوم وتأنيب الضمير والندم فتحاسب نفسها باستمرار)) [2] . ونحن نريد أن ننمّي النفس اللوامة التي من خلالها يمكن أن نجعلها سلما للوصول الى النفس المطمئنة، لا أن نبني الذات الحيوانية والجسدية في وجودنا المسماة بالنفس الأمارة بالسوء، والتي نحن مأمورين بمجاهدتها، إن الإنسان ما دام حياً في هذه الدنيا تتوفر لديه فرصة الارتقاء في مدارج الكمال، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((عَجِبْتُ لِمَنْ يَنْشُدُ ضَالَّتَهُ، وَقَدْ اضَلّ نَفْسَهُ فَلَا يَطْلُبُهَا)) [3] . وعنه (عليه السلام) في موضع آخر وهو يشير الى إنّ من يبذل جهده في سبيل إصلاح نفسه، فسوف يصل ويسعد أيضاً: ((مَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي إِصْلَاحِهَا، سَعُدَ)) [4] . وجاء أيضا في نفس السياق من عدم الركون الى النفس والثقة بها، بل ومعرفتها جيداً حتى لا تورد الإنسان موارد المهالك،

---

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي) : الامام زين العابدين (عليه السلام) : ٤٠٣.

(٢) من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٤/٢٥٥ – ٢٥٦.

(٣) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم : سيد حسين شيخ إسلامي ، رقم الحديث ٦٢٦٦ : ص٦٠٥.

(٤) المصدر نفسه ، رقم الحديث ٨٢٤٦ : ص٧٢٠ .

وتسقطه في المزالق، عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : ((إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تسْلُكُ بِي مَسالِكَ الْمَهالِكِ))[1] ، فالتحرك باتجاه اصلاح النفس وتهذيبها هو سبيل الأنبياء (عليهم السلام) وهدف إرسالهم إلى الناس كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

على الإنسان أن يلجأ الى الله تعالى، ويجدّ في مكافحة نفسه وأهوائه، وقد أشار القران الكريم إلى هذه الحقيقة، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[3] ، يستفاد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة الكثيرة التي تتحدث عن هذا الأمر، ان نفس الإنسان جوهر ثمين ينبغي بل ويجب السعي للحفاظ عليها وتنميتها وترقيتها. والتحذير الشديد من النفس الأمارة بالسوء التي يجب قمعها بالجهاد المستمر والسعي الدؤوب. عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قال لهشام : ((جَاهِدْ نَفْسَكَ لِتَرُدّهَا عَنْ هَوَاهَا، فَإِنّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَجِهَادِ عَدُوّكَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَيُّ الْأَعْدَاءِ أَوْجَبَهُمْ مُجَاهَدَةً؟ قال (عليه السلام) : أَقْرَبُهُمْ الْيَكَ، وَأَعْدَاهُمْ لَكَ، وَأَضُرّهُمْ بِكَ، وَأَعْظَمُهُمْ لَكَ عَدَاوَةً، وَأَخْفَاهُمْ لَكَ شَخْصاً مَعَ دُنُوّهِ مِنْكَ))[4] ، وعدم الانجرار لأهوائها ورغباتها قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ

(١) مفاتيح الجنان : الشيخ عباس القمي : ١١٩.

(٢) سور الجمعة : الآية ٢.

(٣) سورة النازعات : الآية ٤٠ – ٤١.

(٤) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، لبنان–بيروت ، ط٣ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، الحديث ١٢٦٥٣ : ١٤١/١١.

هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[1] ، فاتباع الهوى هو ما يمنع من تنمية الذات ويجعلها أسيرة مقيدة، وهذا النوع من الانسان هالك لا محالة، عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: ((مَنْ أطَاعَ هَوَاهُ هَلَكَ)) [2] .

ثانيًا : حصانة النفس من المغريات :

إنّ الإنسان الواعي والصادق يعرف الأضرار والمساوئ الناتجة والناجمة عن اتّباع وحب النفس، فيبتعد عنها لما لها من نتائج وخيمة في التأثير على رقيّه في حياته، ومصيره في الدنيا والآخرة، يقول تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]. والنفس الإنسانية بحد ذاتها هي طاهرة من كل دنس وخبث وهي جوهرة لطيفة، وفيها استعداد للتكامل والترقية، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾[4]. لكنه بسبب جهله، وارتكابه الذنوب، وتلويث نفسه بالمعاصي، وتعلقه الشديد بالدنيا، ينزل بنفسه الى أسفل السافلين قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[5] ، وهنا إشارة لطيفة من القران الكريم، وهي أنّ الإنسان بعد تلوثه بالذنوب والمعاصي والصفات السيئة، بمقدوره الرجوع الى مكانته الإنسانية العالية والله تعالى يسّر السبل لحصول ذلك، وأعطاه المقومات التي تساعده في ذلك، ولكن الإنسان هو

(١) سورة الكهف : الآية ٢٨.
(٢) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: سيد حسين شيخ إسلامي ، رقم الحديث ٧٧٠١ : ٦٥٩.
(٣) سورة الجاثية : الآية ٢٣.
(٤) سورة التين : الآية ٤.
(٥) سورة التين : الآية ٥.

باتباعه لهوى نفسه وشهواته واعراضه عن صوت العقل والشرع يعرض عن هذا، قال تعالى :﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[١] ، والإنسان إذا أهمل نفسه عن تربيتها وتهذيبها، فسوف تتغير مسيرته، وينغمس شيئا فشيئا في ظلمة الاهواء والشهوات، وحينئذ ستصبح نفسه الأمارة بالسوء هي الآمر والناهي في مملكته، لا الباري تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٢] .

والترقية الإنسانية متوقفة على تهذيب الإنسان نفسه وتربيتها على الفضائل ومحاسن الأخلاق. عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((مَنْ لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ، لَمْ يَنَلِ الْفَوْزَ)) [٣] . وان أفضل عملية يقوم بها الانسان في هذا المضمار هو محاسبة نفسه، والنظر في اعماله اليومية، ثم يعاتب نفسه ويقرّعها ويلومها على اعمالها القبيحة، وليتدارك ما فات وإصلاح الأخطاء، واكمال النواقص. وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ((طُوبَى لِمَنْ مَنَعَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنِ اخْوَانِهِ)) [٤] . وورد عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((مِنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَقَفَ عَلَى عُيُوبِهِ، وَاحَاطَّ بِذُنُوبِهِ، وَاسْتَقَالَ الذُّنُوبَ، وَاصْلُحْ الْعُيُوبَ)) [٥] . وعنه (عليه السلام) : ((طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ، عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ))[٦] ، أي انه ينهمك ويهتم بعيوبه، وينشغل بها بحيث لا تبقى لديه فرصه لمشاهدة عيوب الاخرين. وتبقى هنا مسالة أساسية، كيف للإنسان ان يسوس نفسه ويحافظ عليها من ضغط الشهوات والمغريات المحيطة به من كل

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٦.

(٢) سورة الجاثية : الآية ٢٣.

(٣) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٣/ ٢٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه : ٤/ ٣٣٣٤.

(٥) المصدر نفسه : ٣/٢٢٠٤.

(٦) المصدر نفسه : ٣/٢٢٠٤ .

جانب؟ وتحصل له حصانة ومناعة ضدها؟ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((مَنْ لَمْ يَسُسْ نَفْسَهُ، أَضَاعَهَا)) [١] ، وهنا أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** في تفسيره الى مجموعة من الخطوات التي تكون طريقا لتربية النفس وإصلاحها حيث قال: ((وهناك خطوات عملية تساعد على اصلاح الباطن، منها :

١. مصاحبة المؤمنين الأخيار الصلحاء، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((أَكْثَرِ الصَّلَاحِ وَالصَّوَابُ، فِي صُحْبَةِ أُولِي الِالْبَابِ))[٢] .

٢. مداراة الناس والرفق بهم واللطف معهم ، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((الرِّفْق لِقَاحُ الصَّلَاحِ، وَعُنْوَانُ النَّجَاحِ)) [٣] ، وقال (عليه السلام) : ((عَوّدَ نَفْسِكَ السَّمَاحُ، وَتَجَنّبُ الْإِلْحَاحِ، يَلْزَمُكَ الصَّلَاحُ)) [٤] .

٣. تجنب معاشرة أهل الدنيا والغفلة عن الله تبارك وتعالى، قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((فِي اعْتِزَالِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا جِمَاعَ الصَّلَاحِ)) [٥] .

٤. عدم الاكثار من المباحات ككثرة الطعام والشراب والنوم ونحوها، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((إِذَا مُلِئَ الْبَطْنُ مِنْ الْمُبَاحِ، عَمِيَ الْقَلْبِ عَنْ الصَّلَاحِ))[٦] .

٥. تجنّب الصفات المذمومة كالكذب وإيذاء الناس، قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الصَّلَاحِ الْكَذُوبِ وَذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحُ)) [٧] .

---

(١) ميزان الحكمة : الريشهري : ٢/ ١٥٨٤.

(٢) المصدر نفسه : ٢/١٥٨٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/ ١١٠٤.

(٤) المصدر نفسه : ٣/ ٢١٩١.

(٥) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: سيد حسين شيخ إسلامي ، الحديث ٦٥٠٥ : ٣٨٧ .

(٦) المصدر نفسه ، الحديث ٤١٣٩ : ٢٩١.

(٧) المصدر نفسه ، الحديث ٣٣٣٤ : ٥٢٣.

٦. محاسبة النفس وتدارك ما فاته من تقصير وخلل وردّ المظالم إلى أهلها وقضاء ما فات، قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((حُسْنُ الِاسْتِدْرَاكِ عُنْوَانُ الصَّلَاحِ) [١] . فالاحاديث الشريفة تؤكد ان طريق الإصلاح والتهذيب للنفس يمر بمراحل وبرامج ، وليس طريقة عشوائية))[٢] . وهناك أيضا خطوات نافعة ومفيدة في تهذيب النفس واستحصال الحصانة ضد الذنوب والمعاصي منها :

١. استشعار النفس الإنسانية العبودية لله تعالى والإقرار بها، مؤدّية ما عليها من مسؤوليات وواجبات وفرائض، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتِ الَى رَبِّهَا فَرْضَهَا...)) [٣] .

٢. التفكّر وعدم الغفلة، لأنّ الغفلة إحدى الموانع المهمة لتهذيب النفس، فالإنسان إذا كان منشغلا بالأمور الدنيوية ليلاً ونهاراً، ولم يفكر بالموت ولو ساعة، ولم يفكر في عواقب الذنوب وعذاباتها في الاخرة، ولم يكن الإيمان بالمعاد يوم القيامة قد نفذ الى أعماق نفسه، بل يبقى كونه مفهوما ذهنيا فحسب، اذن كيف يمكن للإنسان التصميم على تهذيب نفسه وإعادة بنائها مع هكذا غفلة؟ الغفلة هي نفسها أكبر الأمراض النفسية، بل وهي منشأ الكثير من الأمراض الأخرى، فيكون دواء هذا المرض هو التفكر، وتخيّل العاقبة، وتقوية الإيمان بالمعاد، يجب على الإنسان أن يراقب نفسه دائما ولا يهملها، وعندها يصبح جاهزا لتربية نفسه وتهذيبها، ويصبح قادر على العزم بجد، فيطهر نفسه من الرذائل الأخلاقية

---

(١) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٣٣٣٣/٤.

(٢) ينظر : من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٢/ ١٢٧ – ١٢٨.

(٣) ميزان الحكمة : محمد الريشهري : ٢/ ١٣٧٧.

والسيئات والذنوب، من هنا ورد عن الإمام علي (عليه السلام) : ((مِنْ عَمّرَ قَلْبَهُ بِدَوَامِ الْفِكْرِ، حَسُنَتْ أَفْعَالُهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ)) [١] .

٣. تأديب النفس وقمع هواها، وهذه وسيلة مفيدة قد ذكرها الإمام علي (عليه السلام) : ((مِنْ اسْتَدَامَ رِيَاضَةَ نَفْسِهِ، انْتَفَعَ)) [٢] . وهذا الأسلوب ينفع مع النفس لردعها وتهديدها، كان يقول الإنسان لنفسه: لقد عزمت على ترك الذنوب والمعاصي، إذا لم تساعديني وعصيتني وارتكبت الذنب الكذائي، أو الفلاني فسأعاقبك بكذا. مثلا بمبلغ من المال، يتصدق به، أو صيام يوم، أو يحرم نفسه من وجبة طعام، فيؤدّبها بالجوع، ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى أَسْرِ النَّفْسِ وَكَسْرُ عَادَتِهَا، الْجُوعُ)) [٣] . وعنه (عليه السلام) : ((ضَادّوا الشَّهْوَةَ بِالْقَمْعِ)) [٤] .

٤. استشعار الرقابة الإلهية، لا تتم تربية النفس وتهذيبها إلاّ باستشعار الرقابة الإلهية في النفس والقلب والعقل، والإحساس بأنّ الله تعالى محيط بالإنسان إحاطة تامة قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٥] . يحصي عليه حركاته وسكناته، ومن هنا قيل من لا مراقبة له لا حياء له، حيث غفلةٍ واحدة تُوقِعُه في المزالق والمتاهات، ولهذا ركّز الإمام محمد الباقر (عليه السلام) على هذه الرقابة الدائمة لتكون هي الدافع لإصلاح النفس وتهذيبها، ففي موعظته لجماعة من أنصاره قال:

---

(١) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: سيد حسين شيخ إسلامي ، الحديث ٨٨٧٢ : ص٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه ، الحديث ٨٣٠٥ : ص٦٠٨.

(٣) مستدرك الوسائل : الميرزا النوري : ٢١٤/١٦ .

(٤) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: سيد حسين شيخ إسلامي ، الحديث ٥٩١٥ : ص٣١٣ .

(٥) سورة الحديد : الآية ٤.

((وَيْلَكَ... كُلّمَا عَرَضَتْ لَكَ شَهْوَةٌ، أَوْ ارْتِكَابَ ذَنْبٍ، سَارَعْتَ الَيْهِ وَأَقْدَمْتَ بِجَهْلِكَ عَلَيْهِ، فَارْتَكَبْتَهُ كَأَنَّكَ لَسْتَ بِعَيْنِ اللَّهِ، أَوْ كَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَكَ بِالْمِرْصَادِ!...)) [١] .

٥. المحاسبة، لو أراد الإنسان تربية نفسه وإصلاحها، فعليه أن يحاسبها، أي على الإنسان أن يقطع عهداً على نفسه. فليتعهد مع نفسه في البداية على تحديد الأولويات والواجبات من طعامه نوعاً وكماً، وتحديد نومه، وكلامه، وما يجب أن يقوم به لنفسه، واتجاه المجتمع. ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قال: ((وقد سئل عن كيفية محاسبة النفس قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس! إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبدا، والله سائلك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حق أخ مؤمن؟ أنفست عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلما؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله عز وجل وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيرا استغفر الله عز وجل وعزم على ترك معاودته)) [٢] . وقد أشار القران الكريم الى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٣] .

(١) تحف العقول : ابن شعبة الحراني : ٢٩١.

(٢) ميزان الحكمة: محمد الريشهري : ٦٢٠/١ .

(٣) سورة الحشر : الآيتان ١٨ – ١٩.

المطلب الخامس: القدوة والأسوة الحسنة

يأتي الكلام والحديث عن أهمية القدوة ودورها، في إطار البحث عن مسألة من أهم المسائل المهمة في حياة الإنسان، وأبرز احتياجاته، والتأسّي واتخاذ القدوة هي غريزة فطرية، وطبيعة إنسانية بشرية ملحّة في شخصية الإنسان، تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، القدوة والأسوة هي الصورة الكاملة أمام عين الإنسان، والإنسان وفق الرؤية القرآنية المعروفة هو على استعداد للرقي والتكامل، مثل ما هو على استعداد للانحراف والتسافل، اذن القدوة والأسوة تعني ما يتأسّى به الإنسان، أي يقتدي به في جميع أحواله ويتخذه مثلا أعلى له في حياته، وفي مواقفه وسلوكه، وفي لسان العرب : ((يُقَالُ: قِدْوَةٌ وقُدْوةٌ لِمَا يُقْتَدى بِهِ ... القُدْوَة والقِدْوَة مَا تَسَنَّنْتَ بِهِ...))[1] . ونحن في هذه المرحلة الحساسة من الزمن، أمام تحديات جسيمة، وما يحيط بنا من تردّ، وأمام هذه الانقسامات الفكرية التي تعصف بالعقول، والتي ربما في درجة من الدرجات نتيجة لسياسة (الباب المفتوح) على مصراعيه، وأمام كل الأفكار الهدّامة، والمعلّبة الجاهزة الغريبة عن القيم والتقاليد الاجتماعية، علاوة على هذا التحشيد الهائل، والزخم الكبير بهذا الحجم العظيم من الفضائيات والإنترنت في تسويقه وتقديمه وجبات سريعة هدّامة، واستهدافه للجميع بلا استثناء، هو في الواقع محاولة خبيثة لإعادة برمجة العقول، وسوقها إلى حيث تشاء هذه القوى، ما هو الموقف الصحيح اتجاه هذا الأمر، واحدة من أهم المجالات التي نواجه بها هذه التحديات، هو الاهتمام بالتربية والقدوة الحسنة. قال **الشيخ محمد اليعقوبي** في هذا الصدد: ((إنّ من العناصر المهمة في التربية، هو القدوة والأسوة الحسنة، على حد تعبير القران الكريم، لأنه يمثل التطبيق للأفكار

(١) لسان العرب : للإمام العلامة جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري، (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ : ١٥/١٧١.

التربوية، فاذا غاب القدوة ، أو كان القدوة منحرفا، فلا ينفع الكلام مهما كثر، ويبقى مجرد حبر على ورق)) [١] .

فالإنسان يتأثر بشكل طبيعي بما حوله من أفكار واراء وعقائد، وسلوك الوالدين والأصدقاء، ومن هنا كان التأسّي من العوامل الأساسية في شخصية الإنسان، ومن الأمور الهامة التي تؤثر في سعادته وشقائه، لذلك اهتم القران الكريم والأحاديث الشريفة بهذه المسألة الأساسية والحساسة. فهذه طائفة من الآيات القرآنية المباركة التي تؤكد ان الأنبياء (صلوات ربي عليهم أجمعين) هم الأسوة والقدوة في حياة الإنسان قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[٢] . وقال تعالى حاكياً عن الاقتداء بالنبي (ﷺ) : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[٣]. وجاء في تفسير الآية بما يشير إلى وجوب التأسّي بالنبي (ﷺ) : ((هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَلِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ ... فِي صَبْرِهِ، وَمُصَابَرَتِهِ، وَمُرَابَطَتِهِ، وَمُجَاهَدَتِهِ، وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ)) [٤] . وقال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ

(١) ينظر : من نور القران : الشيخ محمد اليعقوبي : ٣/ ١٦٤.

(٢) سورة الانعام : الآية ٩٠.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٢١.

(٤) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ : ٦/٣٥٠.

تَهۡتَدُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2] . وقال تعالى مشيرا إلى التأسي بالنبي إبراهيم الخليل (عليه السلام): ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[3]. أما الأحاديث الشريفة الحاثة على التأسي فهي كثيرة جدّاً، نذكر أهم مصاديقها، منها:

١- التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنّ التأسي برسول الله ﷺ هو الرقي والكمال بعينة، لأنه أشرف المخلوقات وأكملها، وقد دل لضرورة الاقتداء به ما في اتباعه من كسب محبة الله تعالى ورحمته وغفرانه وهدايته. جاء عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قوله : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ حُجَّةٌ فِي ارْضِهِ أَوْكَدْ مِنْ نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ، وَلَا حِكْمَةَ ابْلُغْ مِنْ كِتَابِهِ الْقِرَانِ الْعَظِيمِ، وَلَا مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْكُمْ الَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِحَبْلِهِ، وَاقْتَدَى بِنَبِيّهِ، وَانِمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ، عِنْدَمَا عَصَاهُ وَخَالَفَهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَلِذَلِكَ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[4] فالتأسّي برسول الله ﷺ مفتاح الفلاح والنجاح))[5] .

٢- التأسي بالقران الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) : جاء التأسّي بالقران الكريم وأهل بيته (عليهم السلام) في كتاب المستدرك على الصحيحين قوله: ((عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ،

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٢) سورة ال عمران: الآية ٣١.
(٣) سورة الممتحنة: الآية ٤.
(٤) سورة النور: الآية ٦٣.
(٥) ينظر : هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: محمد الريشهري ، الحديث ١١٠٠٤ : ١٦٠ .

وَأَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)) [١] . وجاء في حديث اخر إنّهم كالنجوم: ((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَإِذَا خَالَفَتْهَا قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، اخْتَلَفُوا فَصَارُوا حِزْبَ إِبْلِيسَ)) [٢] .

٣-التأسّي بالعلماء: ورد التأسّي بالعلماء المخلصين العاملين والمضحين، والذين يحملون من القيم والسلوكيات والعقائد السوية، ما يجعل ما يحملون من علم ومعرفة وأخلاق وصدق وأمانة على مستوى إنهم ورثة الأنبياء (عليهم السلام) ، روي عن رسول الله ﷺ انه قال : ((الْعُلَمَاءِ مَصَابِيحُ الْأَرْضِ، وَخُلَفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ، وَوَرَثَتِي وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ))[٣] . فالعالم المتّقي والمخلص في هذا الزمن، يكون له منزلة عظمى في الإسلام، وهي منزلة أنبياء بني إسرائيل، وجاء في نفس المورد عنه ﷺ : ((اتَّبَعُوا الْعُلَمَاءَ، فَانْهُمْ سَرْجَ الدُّنْيَا، وَمَصَابِيحَ الْاخِرَةِ)) [٤] . لأن العالم يخرج الناس من الظلمات الجهل والمعصية إلى نور العلم والطاعة، وفي وصية لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): قال لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): ((وَاحْتَذَّ بِحِذَاءِ الصَّالِحِينَ، وَاقْتَذَّ بِآدَابِهِمْ وَسِرَّ بِسِيرَتِهِمْ)) [٥] . من هنا

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين، القاهرة – مصر ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، الحديث ٣٠٨/٤٧١١ : ١٧٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه ، الحديث ٣١٣/٤٧١٥ : ٣/ ١٦٢.

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري : ٣/ ٢٠٦٧.

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، الحديث : ٢٨٦٨١ : ١٠/ ١٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، الحديث: ٤٤٢١٥ : ١٨٠/١٦.

يتضح الحديث عن إنّ العلماء إنّهم قدوة وأسوة، وإنّهم المصابيح التي تنير الطريق والدرب للإنسان في ظلمات هذه الدنيا، وانهم التجسيد العملي للصراط المستقيم، وسلوك النهج القويم، على أساس إنّهم مدرسة تقدم للأمة نماذج واقعية عن تلك الكمالات والصور المشرقة الحيّة، وما يريد أن يصل إليه الإنسان فيتقدم، فالعلماء يقدمون بشخصيتهم اقناع الآخرين بإمكانية الوصول إلى الفضائل والتحلي بها، وأنها ليست من نسيج الخيال، أو استحالة تحققها في الواقع الملموس.

أولاً : مواصفات القدوة الحسنة :

أشار **الشيخ محمد اليعقوبي** الى صفات أساسية ومطلوبة في القدوة حتى يكون مؤهلاً للاقتداء والتقليد وهي: ((سعة الصدر، وفي الحديث، (آلة الرئاسة سعة الصدر))[١] . وأي رئاسة أعظم من تصدي النبي ﷺ لهداية الخلق، وتكميل نفوسهم، والأخذ بأيديهم في طريق الكمال والسمو، والقرب من الله سبحانه)) [٢] ، ومنها أيضا ما أشار الى صفة مهمة في القدوة وهي: ((المبدئية، وهي صفة تختصر عناوين كثيرة، كالثبات على الحق، وصلابة الإرادة، وعلو الهمة، ورباطة الجأش، وقوة القلوب، وشجاعة النفس، وعدم التزلزل والتراجع مهما كانت الضغوط الخارجية عظيمة)) [٣] . وهذه الصفة لها دور مهم في جذب الناس الى القدوة وتفاعلهم معه، لأنها تبين الإنسان صاحب المصلحة من الانسان المبدئي، وهناك صفة أخرى تضاف الى الصفات التي

---

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري : ١٠٠٨/٢.

(٢) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين: الشيخ محمد اليعقوبي ، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، ط١ ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م : ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص٨٢ .

يتحلى بها القدوة وهي ((الرحمة ورقة القلب، والرأفة بالمؤمنين، ومشاركتهم في آلامهم وهمومهم، فالقدوة يملك العطف والرحمة والرأفة للجميع بلا استثناء)) [١] ، وهذه الصفة تشير الى إنّها نابعة من إخلاص ومحبة القائد للأمة، وهناك صفة أيضا تندرج من ضمن سمات القدوة وهي الحياة في ظل القران الكريم، فما من قدوة ومصلح، يسعى لإنجاح مسيرته إلا ويجب عليه أن يعيش مع القران بكل كيانه، ويتزود منه، فإنه ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] ، وتفعيل القران في حياة الإنسان دور مهم تكامله وقوة شخصيته، يقول الامام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) : ((لو مات من بين المشرق والمغرب، لما استوحشت بعد أن يكون القران معي)) [٣] .

ثانيا: تأثير القدوة السيئة على الإنسان :

جاء في تعريف القدوة هي: ((الأُسْوَة والإسْوَةُ كالقدوة ، والقدوة هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في إتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا ، وان سارًا وإن ضارًا)) ، بينما جاء في تعريف القدوة السيئة بالتحديد هي : ((الاقتداء بأهل الباطل، ومتابعتهم، والتأسّي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات)) [٤] . القران الكريم حذر من اتخاذ السيئين وأصحاب السوء أسوة وقدوة للإنسان، لأنهم يأخذون بيد الإنسان نحو الهاوية والانحراف والفساد، ولهذا نقرأ هذه الحقيقة في القران الكريم قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ

(١) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين ، الشيخ محمد اليعقوبي : ص٩٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٣) الكافي : الشيخ الكليني : ٢/ ٦٠٢.

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : عدد من المختصين بإشراف الشيخ : صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٤ : ٥٣٠٠/١١ .

ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[1]. قال الطباطبائي : ((وفي هذه الآيات الثلاث إشعار بدلالة على أن السبب العمدة في ضلال أهل الضلال، ولاية أهل الأهواء، وأولياء الشيطان، والمشاهدة يؤيد ذلك)) [2] . وهذه من لطائف القران الكريم في إشارته الى خطورة هذه العوامل الثلاثة في إبعاد الإنسان عن جادة الصواب والتعقّل. وجاء في تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي أيضا قوله : ((لا شك في أن عوامل بناء شخصية الإنسان ـ بعد عزمه وإرادته وتصميمه ـ أُمور مختلفة، من أهمها الجليس والصديق والمعاشر، ذلك لأنّ الإنسان قابل للتأثر شاء أم أبى، فيأخذ قسطاً مهماً من أفكاره وصفاته الأخلاقية عن طريق أصدقائه، ولقد ثبتت هذه الحقيقة من الناحية العلمية وعن طريق التجربة والمشاهدات الحسية أيضاً)) [3] .

ولهذا جاء في الروايات الشريفة ما يؤكد هذه الخطورة من تأثير قدوة السوء على الإنسان، فقد جاء عن النبي ﷺ قال : ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة))[4] .

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٧ – ٢٩.

(٢) الميزان في تفسير القران: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : ١٥/ ٢٠٤ .

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، إيران – قم ، ط١ ، ١٤٠٤هـ : ١١/ ٢٣٩ .

(٤) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن فتوح الحميدي ، تحقيق : د. علي حسين البواب، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م : ١/١٨٠ .

وللشيطان دور هدّام اذا ما اتخذه الإنسان قدوة وأسوة له، ومع الأسف عندما نقرأ القران الكريم نجد إن أغلب المجتمعات التي تلاشت واندثرت هو بسبب إتباعهم الشيطان اللعين قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، وكذلك إنّ من أهم العوامل في تأثير القدوة السيئة على الإنسان، هي تلك العادات المذمومة التي ندَّد بها الإسلام، وحذَّر منها، وهي تقليد الآباء والأجداد من غير برهان ولا حجة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، وجاء في تفسير الآية: ((لأنهم يجعلون آباءهم أهل الرأي فيما ارتؤوا والتسديد فيما فعلوا، فلا يرون إلا حقًّا، ولا يفعلون إلا صوابًا وحكمةً، فلا جرم أن يكون مريد الصد عنها محاولًا الباطل وكاذبًا في قوله، لأن الحق مطابق الواقع، فإبطال ما هو حق في زعمهم قول غير مطابق للواقع، فهو الكذب، وفعل كان في قولهم: عما كان يعبد آباؤكم إشارة إلى أنهم عنوا أن تلك عبادة قديمة ثابتة)) [3] .

والأُسى السيئة في القران الكريم كثيرة وسأقتصر على ذكر بعضها هي كما يلي:

---

(١) سورة سبأ : الآية ٢٠.

(٢) سورة سبأ : الآية ٤٣.

(٣) التحرير والتنوير : (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤هـ : ٢٢٦/٢٢ .

١-البهائم: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[١] ، وبهذا الصدد يقول الامام علي (عليه السلام) : ((يا عجباً، قد مكنهم الله من الاقتداء به، فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم)) [٢].

٢-الجاهلون: قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[٤] ، وورد في هذا الأمر، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((النَّاسُ ثَلَاثَةٌ ، فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ)) [٥] .

٣- المفسدون: قال تعالى : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، الحديث: ٨٠٤ : ٣٣٢/٢٠.

(٣) سورة يونس: الآية ٨٩.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦٤.

(٥) أضواء البيان: الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م : ٧/ ٣١٢ .

قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1] ، وغيرها كثير ، ومن يتدبر القران يجد الكثير من القدوات السيئة التي حذر القران الكريم من مغبة وقوع المجتمع والإنسان في الاقتداء بها واتخاذها أسوة ومثال لهم في حياتهم وجميع مجالاتهم .

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٢.